

[◀ العودة للصفحة الرئيسية](#)

صراع الأضداد

بقلم: عدنان عبد الستار وأمل إبراهيم • تاريخ النشر: ١٤ أغسطس ٢٠٢٦



يمضي الوجود على إيقاع ثنائيات تبدو، للوهلة الأولى، متقابلة؛
كأنها تقف على ضفتين لا تلتقيان: النور والظلام، الليل والنهار،
الحياة والموت، السكون والحركة، العقل والعاطفة، والمذكر
والمؤنث.

غير أن التأمل العميق يكشف لنا أن ما حسبناه خصومةً ليس إلا حواراً خفياً، وأن الأضداد ليست جزراً متباعدة، بل أطراف وحدة واحدة يستمد بعضها من بعض معناه وحدوده.

فالنور لا يعرف اسمه إلا حين يطل من نافذة العتمة، والنهار لا يكتمل إلا حين يسلم خطاه إلى الليل، والحياة نفسها لا تتجلى قيمتها كاملة إلا على حافة الفناء.

هكذا يمنح كل ضد نقيضه معنى لا يستطيع أن يصنعه منفرداً، ومن التوتر الخفي بينهما تولد الحركة ويبدأ التحول.

ثنائية الإنسان

الإنسان، ذلك الكون الصغير، يحمل في تكوينه صورة أخرى من هذه الثنائية؛ ففيه يلتقي الجسد والمخ، الإحساس والتفسير، والعقل والعاطفة.

الجسد هو أرض التجربة وذاكرة اللمس والحركة، والمخ فضاء الإدراك والتفسير والاختيار.

لكنهما لا يعيشان كعالمين منفصلين؛ فالجسد ينقل إلى المخ أخبار العالم عبر الحواس، والمخ يعيد تنظيم هذه الإشارات ويحوّلها إلى إدراك واستجابة وحركة.

وكذلك المخ بنصفه الكرويين، اللذين يتبادلان الإشارات عبر شبكات عصبية واسعة.

وعلى الرغم من وجود قدر من التخصص الوظيفي بين مناطق الدماغ، فإن الإنسان لا يفكر بنصف مخ، ولا يشعر بنصف قلب، ولا يبدع بنصف كيان؛ وإنما تتشكل تجربته من منظومة مترابطة تتفاعل أجزاؤها باستمرار.

ومن الجميل، على المستوى الرمزي، أن نرى في هذا الترابط رسالة تقول إن الإنسان لا يكتمل بالانغلاق داخل جانب واحد، بل بالاتصال والتكامل.

التوازن

ويمكن أن نرى في فكرة الأضداد، رمزياً، صورة للقطين المذكر والمؤنث؛ لا بوصفهما حدوداً جامدة تفصل صفات الرجل عن المرأة، بل بوصفهما رمزين لقوى مختلفة يمكن أن تجتمع داخل الإنسان الواحد.

ففي كل إنسان قدرة على القوة واللين، والحزم والاحتواء، والعقل والحدس، والفعل والتلقي. وهذه الصفات ليست ملكاً حصرياً لرجل أو امرأة، بل إمكانات إنسانية تتفاعل لتشكّل شخصية أكثر اتزاناً وثراءً.

ولا يتحقق التوازن حين يمجّد الإنسان أحد هذه الجوانب ويقصي نقيضه.

فالعقل إذا خلا من العاطفة قد يغدو بارداً كمرآة لا قلب لها، والعاطفة إذا انفصلت عن العقل قد تصبح موجة لا تعرف شاطئها.

والقوة بلا رحمة قد تتحول إلى بطش، كما أن الرحمة التي لا تسندها قوة قد تعجز عن حماية ما نحب.

لكن التوازن لا يعني الوقوف دائماً في منتصف المسافة بين الأضداد. فقد تحتاج الحياة أحياناً إلى الحزم أكثر من اللين، وإلى الحركة أكثر من السكون، ثم تتغير الظروف فيصبح ما كان في الخلف هو ما نحتاج إليه في المقدمة.

فالتوازن الحقيقي ليس حالة جامدة، بل حركة واعية ومتجددة بين قوى الحياة المختلفة.

من الطبيعة نتعلم

الطبيعة من حولنا تروي الحكاية ذاتها بألف لسان.

فالبذرة لا تصبح شجرة إلا حين تشق ظلمة التراب في طريقها إلى النور، والفصول تتعاقب بين اخضرار وذبول، ودفء وبرد، ونمو وسكون. وفي كل تحول تتخلّى الطبيعة عن صورة لتولد في صورة أخرى.

وليس الإنسان بعيداً عن هذا الإيقاع. فقد يكشف الألم قيمة العافية، ويمنح
الفقد للحضور معنى لم تكن ندركه وهو بين أيدينا، وقد يفتح الفشل باباً لم
نكن لنبصره ونحن مأخوذون ببريق النجاح.

ولا يعني ذلك أن الألم خير في ذاته، أو أن المعاناة ضرورة للنضج، وإنما
يعني أن الإنسان قادر، حتى حين تفرض الحياة عليه ما لم يختره، على أن
يستخرج من التجربة وعياً لم يكن يملكه من قبل.

إن وحدة الأضداد لا تعني محو الاختلاف أو إذابة الألوان في لون واحد؛
فالوحدة الحقيقية ليست تشابهاً أصمّ، بل تناغماً بين أصوات متميزة.

وكما لا تصنع نغمة واحدة موسيقى، لا يصنع قطب منفرد حياة كاملة.

فالاختلاف يمنح الوحدة ثراءها، والتوتر هو الوتر الذي ترتجف عليه موسيقى
الوجود.

المصالحة

لعلّ أصعب صراع يخوضه الإنسان ليس مع العالم من حوله، بل مع الأجزاء
التي لم يتعلم بعد كيف يتقبلها في داخله. فنحن نحب قوتنا ونخشى ضعفنا،
نبحث عن نورنا ونحاول إخفاء ظلنا، وكثيراً ما نظن أن السلام سيأتي عندما
ينتصر جانب فينا ويصمت الآخر.

لكن ما نقصيه من داخلنا لا يختفي بالضرورة؛ قد يتوارى في الظل ثم يعود
غضباً لا نفهم مصدره، أو خوفاً لا نعرف سببه، أو شعوراً بأن شيئاً في داخلنا
لم يجد مكانه بعد.

لهذا لا تبدأ المصالحة بأن نختار بين القوة والضعف، أو العقل والعاطفة، أو
النور والظل، بل بأن نمتلك الشجاعة لنراها جميعاً، وأن نفهم ما يحمله كل
جانب منها.

وعندما يتوقف الإنسان عن خوض الحرب ضد أجزاء من نفسه، يبدأ في جمع
ما تفرّق داخله. لا يصبح الإنسان أكثر اكتمالاً لأنه تخلص من تناقضاته، بل

لأنه أصبح قادراً على احتوائها دون أن تمرّقه.

وهكذا يبدو الوجود نسيجاً حياً من قوى تتقابل لكي تتكامل، وتختلف لكي تخلق، وتتوتر لكي تتحرك.

فالصراع يمنح الحياة حركتها، والوحدة تحميها من التفتت، والتكامل يحوّل التناقض من جدار يفصل بين الأضداد إلى جسر يصل بينها.

وربما لا يكون السلام الحقيقي عالماً تختفي منه الأضداد، ولا قلباً لا يعرف الصراع، بل وعياً يتسع لما يبدو متناقضاً؛ وعياً يحوّل المعركة إلى حوار، والانقسام إلى تناغم، والتناقض إلى طريق نحو النضج.

فقد لا نحتاج دائماً إلى أن ننتصر على ما يناقضنا، بل ربما نحتاج أولاً إلى أن نفهم لماذا يسكن فينا.

إذا أردت أن تتعرف أكثر إلى طبيعة الأنا وعلاقتها بالتوازن الداخلي، فاقراً أيضاً:

ما هي الأنا؟ رحلة لفهم الذات والهوية

🔗 قراءة ك PDF

📄 تحميل المقالة (PDF)

فلسفة الوعي

صراع الأضداد: ثنائية الوجود وتكامل الإنسان

قراءة كاملة لمقالة «صراع الأضداد» للكاتبين أمل إبراهيم وعدنان عبد الستار. يسرنا أن ننشر في هذا الباب في كل أسبوع مقالة جديدة حول مفاهيم الكتاب العميقة.

مقالات أخرى قد تهمك

◀ ما هي الأنا؟ رحلة لفهم الذات والهوية

◀ ما هي اللغة؟ هل هي مجرد وسيلة للتواصل أم ظاهرة كونية غامضة؟

◀ ما معنى العودة إلى الذات؟... الطريق إلى المركز الداخلي

◀ لماذا نقاوم الواقع؟ وكيف يقلل قبول الواقع من المعاناة

◀ الواقع يبدأ من الداخل: شبكة الأسباب الخفية في حياة الإنسان

◀ الفقدان... حين يترك الغياب أثراً لا يراه أحد

◀ ما هو الامتنان؟

كتاب «حين يراك الوجود»

رحلة وجودية ونفسية عميقة في فهم الأنا والوعي والهوية.

معاينة وتنزيل الكتاب



جميع الحقوق محفوظة © ٢٠٢٦ عدنان عبدالستار و أمل ابراهيم.